كلمة شكر

يعود الفضل إلى توبي موندي، رئيس دار أتلانتيك بوكس Atlantic Books على الفكرة اللماحة لهذه السلسلة من الكتب التفسيرية. كان توبي هو من اختارني (ولا يحق لي الحكم على مدى صواب الاختيار) لكتابة واحد منها. لكن بغض النظر عن شعور القارئ وحكمه، أشعر بالامتنان على التجربة. مع أنها رمت بي في غيهب الطرف العميق من البركة الفكرية، حيث لم أعتد السباحة.

أعبر عن الشكر أيضًا لمورغان إنتريكين، رئيس مؤسسة غروف أتلانتيك Grove Atlantic العالمية، التي قدرت عاليًا أهمية مشورتها التحريرية (بإعادة كتابة كل شيء) وإن لم أعمل بها. نحن، أنا ومورغان، شريكان في ذلك الاتحاد المدني المعروف باسم الكاتب المحرر (وتعترف به غالبية الدول) منذ عام ١٩٨٣. وقد طبع كل كتاب ألفته، على مسؤوليته الشخصية.

ظهر الفصل الثالث من هذا الكتاب، الذي يتناول مؤلف آدم سميث (نظرية العواطف الأخلاقية)، بشكل مختلف إلى حد ما، في مجلة ويكلي ستاندارد Weekly Standard. وأدين بالفضل إلى نشره بذلك الشكل الراقي، الذي أتاح لي على مدى أكثر من عقد من السنين أن أتحدث طويلًا حتى عن (نظرية العواطف الأخلاقية).

أعبر عن جزيل الشكر أيضًا إلى معهد كاتو Cato Institution في واشنطن، وهو مؤسسة استشارية لا حزبية تشجع الحرية الفردية التي نحبها كلنا، وتلح على المسؤولية الفردية التي لا نحبها بالقدر نفسه. يرأس المعهد إد كرين؛ ويقوم بمعظم النشاط نائب الرئيس التنفيذي ديفيد بوز، أما أنا - الباحث الزميل في المعهد - فلا أفعل شيئًا. توم بالمر، كبير الزملاء الباحثين في معهد كاتو، والمختص الأصيل بآدم سميث، هو الذي أخذ بيدي وهداني في متاهة (ثورة الأمم). وهو الذي أشار إلى أن آدم سميث، حين استخدم مثال القنادس والغزلان الميتة لاستكشاف طبيعة القيمة، لم يكن يعرف ما يقول. وهو الذي لاحظ المفارقة المثيرة للسخرية في السياسة الميركانتيلية، حيث تحاول أن تفعل في البلد زمن السلم ما يسعى العدو إلى فعله فيها زمن الحرب.

قبل بضع سنين، عرض علي معهد كاتو إلقاء سلسلة من المحاضرات بعنوان (تشجيع المجتمع المدني)، وسرعان ما تحولت إلى أقراص مضغوطة وأشرطة تسجيل (كاسيت). وكانت التسجيلات الأربعة التي كرست لكتاب (ثروة الأمم) ممتازة ومفيدة وبليغة. في حين كان الاستماع إليها، وفقًا لمصدر مرجعي مطلع (زوجتي)، أمتع من الاستماع إلي.

زودتني مارغريت ماريوتي، بما تتميز به من مهارات لغوية ومعرفة عميقة بالثقافة الفرنسية السائدة في القرن الثامن عشر،

بترجمة قابلة للفهم لرسالة مدام ريكوبوني إلى ديفيد غاريك. فحتى بالنسبة للخبير المطلع على الفرنسية، بدت تلك الرسالة خلطة مشوشة لا يمكن فك رموزها، تشابكت فيها القواعد اللغوية البائدة والعبارات المحكية الميتة منذ عهد بعيد.

وزود جيمس كيغلي، ببراعته ومهارته المعهودتين خلف عدسة الكاميرا، القراء بصورة أبدو فيها - بطريقة تفتقد إلى الصحة ربما - ذكيًّا أريبًا وسيمًا.

تحدثت عن كتابي (دون نهاية كما أخشى) إلى الذين ناقشت معهم كل ما يتجاوز فهمي (لكن نادرًا ما تجاوز أفهامهم): أندي ودينيس فيرغسون، ونيك وماري إيبرستادت، ومايكل ليهنر، وتينا أورورك. ونظرًا لأن هذه الأخيرة متزوجة من المؤلف، فقد كان عليها تحمل الكلام ليلًا ونهارًا. أشكرهم كلهم على صبرهم الجميل وأفكارهم الحكيمة.

أتى مزيد من الصبر الجميل والأفكار الحكيمة من إد كرين، وديفيد بوز، وريتشارد ستار، وفيليب تيرزيان، وريتشارد بايبس، وتشارلز موراي، وكريس ديموث، وتوبي ليستر، وكولين موريف.

أدين بالفضل أيضًا إلى ديفيد بروكس على تذكير القراء، في إحدى مقالاته المتازة في صحيفة نيويورك تايمز (يجب أن يمنحوه إدارة الصحيفة برمتها)، بأن أسس مبادئ السوق الحر

كانت مفهومة منذ عصر ألبيرتوس ماغنوس في القرن الثالث عشر على أقل تقدير. كما أشكر روبرت صمويلسون على تقاريره المدهشة المستمرة حول تحليل الشؤون الاقتصادية. في عام ٢٠٠٥، أثبت صمويلسون في عموده في صحيفة واشنطن بوست فهمه الكامل لحجة آدم سميث ضد السيطرة الحكومية والتخطيط الاقتصادي والادعاء بأنهما يمثلان الحل للمشكلات كلها، في جملة واحدة: (كلما تناقص فهمنا للاقتصاد تحسن وضعه).

روى لي الدكتور وليام فروند، الذي ظل سنين طويلة كبير الخبراء الاقتصاديين في بورصة نيويورك، دعابة وجدت تذكرها مفيدًا: (الاقتصادي رجل يعرف مئة طريقة وطريقة لممارسة الحب دون أن ينجب طفلًا).

اشتكيت أمام المحامي والخبير القانوني بيتر هوبر من بعض الجفاف والصعوبة في تفكير سميث. فقال: يمكن للكاتب أن يكون مملًّا وجافًّا في الأسلوب بقدر ما يشاء طالما يعرض أفكارًا لماحة ورؤى مبتكرة. مما جعلني أتذكر أنني لا أفعل، ومن ثم دفعني إلى واجب الحفاظ على أفكاري الخاصة بعيدًا عن الموضوع بقدر الإمكان، وهذا ما آمل، لكن لا أعد، به.

ما أعد به هو امتنان لا ينتهي لكل من تينا أورورك وكايتلين رودس على ما أجرته من أبحاث وما بذلته من جهد لأخذ الشكل

الـذي تحولـت إليه، بعـد مرورها عبر جهـازي الهضمـي الذهني، وتلقيمه إلى جهاز الكمبيوتر.

أود في الختـام الإشـارة إلى جهة لا يوجـد داع لشكرها: جامعة كامـبردج، التـي فصلت دراسة علـم الاقتصاد عـن دراسة مبحث الأخلاق عام ١٩٠٣. مبكرةً قليلًا.

(لم يأخـذ منـه سوى مـا أتاحت له قدرة عقلـه المسطح، بينما تـرك جوهر تفكير آدم سميث. ولا ريب في أن مجرد استعارة قبعة لأي غرض تتطلب نوعًا من التماثل في حجم الرأسين).

مؤرخ سيرة آدم سميث، جون راي،

في تعليق على مؤلف سابق حاول انتحال عمل سميث الشهير.